مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/١٠,٦٢٨١٠/jis.v٢i١,١٧٣

دلالة الألوان في القرآن الكريم وعلاقتها بعلم الجمال "دراسة بلاغية تحليلية"

الباحث:

الدكتور نقيب الله رسا، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية جامعة بلخ – أفغانستان.

الايميل: dr.rassa@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال : (١٠المحرم ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٥ صفر ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٢٠ صفر ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٣٠ ربيع الأول ١٤٤٧)

الملخص: يتناول هذا البحث موضوع دلالة الألوان في القرآن الكريم من الناحية البلاغية والجمالية، مستقصيًا ما تحمله الألوان من رموز ومعانٍ فنية ونفسية تتجاوز الدلالة اللغوية الظاهرة. وينطلق من فرضية مفادها أن الألوان في القرآن الكريم لم تُستخدم على نحو عشوائي، بل وُظّفت بعناية فائقة لتعزيز الإعجاز البلاغي والجمالي للنص القرآني. ينقسم البحث إلى مبحثين: يتناول المبحث الأول مفهوم اللون وأقسامه وتأثيره النفسي وعلاقته بعلم الجمال. أما المبحث الثاني، فيُعنى بتحليل الألوان الواردة في القرآن الكريم وبيان ما تتضمنه من دلالات فنية وجمالية ونفسية ودينية، مثل: النقاء، والصفاء، والعذاب، والنعيم، والخوف، والحياة، والبعث، وغيرها. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يُصنَّف حضور الألوان في القرآن الكريم، ويُحلَّل أثرها البلاغي مع ربطها بمفاهيم علم الجمال كوسيلة لفهم الأثر الفني للنص القرآني في النفس البشرية. وقد توصّل البحث إلى أن اللون القرآني يحمل وظيفة جمالية مزدوجة: فهو أولًا عنصر من عناصر الإعجاز البياني، وثانيًا وسيلة فنية للتأثير النفسي والوجداني، حيث يُسهم في إحياء المعاني وتقريبها إلى المتلقي. كما يُظهر البحث أن اللون في القرآن الكريم لا يُفهم بمعزل عن السياق، بل يتجلى جماله الكامل عند تداخله مع الصورة والحدث والرمز. واختتم البحث بالتأكيد على أهمية دمج البلاغة القرآنية بعلم الجمال، وفتح أفق علمي يربط التحليل البلاغي بالنظريات الجمالية والفنية الحديثة، مما يُعدّ إضافة نوعية في حقل الدراسات القرآنية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: الألوان، التصوير الفني، التلوين، الجمال، الدلالة، الرمزية، القرآن.

The Semantics of Colors in the Qur'an and Its Relation to Aesthetics: A Rhetorical-Analytical Study

ABSTRACT: This study examines the semantic relationship between colors in the Qur'an from rhetorical and aesthetic perspectives, exploring the symbolic, artistic, psychological, and spiritual meanings. The color usage in the Qur'an is far from arbitrary; instead, it is employed to enhance the rhetorical and aesthetic inimitability of the sacred text. The study is divided into two sections. The first section covers the concept of color, its categories, psychological effects, and relation to aesthetics. The second analyzes the colors in the Qur'an in light of their textual contexts, revealing their artistic, aesthetic, psychological, and religious connotations, such as purity, clarity, torment, bliss, fear, life, and resurrection. The research adopts a descriptive-analytical methodology, classifying the occurrences of color in the Qur'an and examining their rhetorical impact while connecting them with aesthetic theory as a means to understand the artistic effect of the Qur'anic text on the human psyche. The study concludes that Qur'anic color serves a dual aesthetic function: as a component of rhetorical inimitability and as an artistic tool for emotional and psychological engagement, making meanings accessible to the reader. It highlights that color in the Qur'an cannot be interpreted in isolation but gains its full aesthetic value through interaction with imagery, events, and symbolic structures. The study emphasizes the importance of integrating Qur'anic rhetoric with aesthetics and establishing a scholarly approach that links rhetorical analysis to aesthetic and artistic theories, constituting a valuable contribution to Qur'anic and literary studies.

Keywords: Aesthetics, Color, Coloration, Imagery, Semantics, Symbolism. Qur'an.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة للناس، وجعل في آياته من البلاغة والجمال ما يتجاوز حدود الفهم البشري، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين الذي أُوتي القرآن معجزةَ بيانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن الألوان، بما تحمله من دلالات حسية ورمزية، تمثل أداةً فنية رائعة في إظهار الجمال وبيان المعاني. وقد برع القرآن الكريم في استخدام الألوان على نحوٍ فني بديع، بحيث تنبثق من كل لون دلالة عميقة، كما أن القرآن الكريم يستثمر الألوان في العديد من آياته لتوجيه الإنسان نحو فقه الحياة وفهم الروح الإنسانية والكونية، بل إنها تصبح أداةً لفهم المقاصد الإلهية والسنن الكونية. ولذلك، يُعد فهم دلالة الألوان في القرآن الكريم أمرًا بالغ الأهمية في مجال الدراسات القرآنية والبلاغية.

وقد احتلّ اللون عبر العصور موقعًا بارزًا في التعبير الفني والبلاغي، لما له من قدرة عميقة على إثارة المشاعر، وتجسيد المعاني، وتجديد الإحساس بالجمال. ولئن تناولت الفلسفات القديمة والحديثة اللون بوصفه مظهرًا من مظاهر الجمال الحسي، فإنّ القرآن الكريم بما له من أسلوب بياني معجز قد أفرد للون مساحة واسعة في تصوير الحقائق الكونية والنفسية، مُبرزًا بذلك بُعدًا جماليًا فنيًا فريدًا يثري النص ويعمّق دلالاته. ويأمل الباحث من خلال هذه الدراسة أن يسهم في توسيع آفاق البحث الجمالي في النص القرآني، وأن يفتح مسارات جديدة لفهم علاقة البلاغة العربية بعلم الجمال، مؤكِّدًا بذلك أن الإعجاز القرآني لا يقتصر على المعنى والمبنى فحسب، بل يشمل أيضًا الإبداع الجمالي في أدق صوره وتجلياته. ولأهمية القرآن الكريم بوصفه النص الأعلى بلاغة وجمالًا في اللغة العربية؛ وقلة الدراسات المتخصصة التي تربط بين دلالات الألوان القرآنية وعلم الجمال؛ والإسهام العلمي في مجالي البلاغة القرآنية وعلم الجمال اللغوي، تم اختيار موضوع البحث بعنوان: "**دلالة الألوان في القرآن الكريم وعلاقتها بعلم الجمال– دراسة بلاغية تحليلية**".

مشكلة البحث:

وتتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن كيفية توظيف الألوان في القرآن دلاليًا وبلاغيا، ومدى ارتباطها بعلم الجمال.

أسئلة البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما أبرز الألوان التي وردت في القرآن الكريم؟ وما سياقات ورودها؟
- ما الدلالات الحسية والرمزية للألوان في النص القرآني؟
- كيف يسهم توظيف الألوان في القرآن الكريم في بناء الصورة الفنية والجمالية للنص؟
- ما أوجه العلاقة بين دلالة الألوان في القرآن الكريم وبين علم الجمال؟

أهمية البحث:

وتتمثل أهمية البحث في الآتي:

- إبراز الدلالات التي حملتها مفردات الألوان؛
- إثراء الدراسات القرآنية بالتحليل الجمالي للنصوص؛
- ربط الدراسات البلاغية بالنظريات الحديثة في علم الجمال؛
- حصر وتحديد الألوان الأساسية الوادرة في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

- رصد الألفاظ الدالة على الألوان في القرآن الكريم وإبراز جمالياتها؛
- تحليل الدلالات المتنوعة للألوان في ضوء السياق القرآني؛
- بيان الأبعاد الجمالية والفنية لاستخدام الألوان؛
- إبراز كيفية عرض الجمال في القرآن الكريم، ومقارنته بالمفاهيم الجمالية في الفكر الفلسفي.

حدود البحث:

يقتصر البحث على ألفاظ الألوان ودلالاتها الجمالية في القرآن الكريم.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

هناك جهود علمية سابقة تناولت موضوعًا مشابهًا لموضوع البحث، إلا أن معظمها درس الألوان من جوانب لغوية أو دلالية أو نفسية، بشكل جزئي أو منفصل، وأغفل تناول الألوان بوصفها عناصر جمالية، مما استدعى تقديم هذا البحث ليسد هذه الفجوة البحثية ويوسع دائرة فهم الجمال القرآني عبر توظيف اللون. ويقدم مقاربة شاملة تدمج التحليل البلاغي القرآني مع التحليل الجمالي الفني، لتكشف عن أبعاد جديدة لم يتم التركيز عليها في الدراسات السابقة. ومن الدراسات السابقة، ما يلي:

١ – " اللون ودلالته في التعبير القرآني"، لعبد الكريم حمدي خليل و جملات عيد أبو ناصر، بحث علمي، ركز على الجانب التعبيري للون في القرآن، مع تحليل نصوص منتقاة، لكنه اقتصر على التفسير الحسي دون الخوض في الأبعاد الجمالية للنص القرآني.

٢ – "البنية الجمالية في النص القرآني"، للباحث رائد مصباح الداية، تناول البحث البنية الجمالية العامة للقرآن الكريم دون تخصيص الألوان بالتحليل المستقل، مما يبرز الحاجة إلى بحث متخصص في موضوع الألوان ودلالاتها الجمالية.

٣ – نظرية اللون: مدخل إلى علم الجمال"، للباحث زياد شعيب، استعرض المبادئ الفلسفية والجمالية للون في الفكر الغربي والحديث، ويمكن الاستفادة منه في إثراء الجانب النظري لعلم الجمال في هذا البحث.

ومما سبق يتضح أن معظم الدراسات السابقة إما تناولت دلالة الألوان من منظور لغوي أو بلاغي محض، أو درس الجمال القرآني بشكل عام دون تفصيل دلالات الألوان، ولم تجمع دراسة واحدة بينها وبين النظريات الجمالية الحديثة بشكل متكامل. وهذا ما يبرر الحاجة الأكيدة إلى هذا البحث الجديد، الذي يسعى إلى الجمع بين التحليل البلاغي الدقيق للألوان والنظرية الجمالية الحديثة، مما يُعدّ إضافة نوعية في حقل الدراسات القرآنية والأدبية.

هيكل البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فيها أساسيات البحث.

المبحث الأول: اللون وتأثيره النفسي وعلاقته بعلم الجمال.

المبحث الثاني: جماليات الألوان في القرآن الكريم.

الخاتمة تضمنت أهمّ النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: اللون وتأثيره النفسي وعلاقته بعلم الجمال:

الألوان من أبرز مظاهر الجمال التي تؤثر في الحواس والنفس، وتلعب دورًا أساسيًا في الحياة اليومية من الملبس إلى البيئة المحيطة، مما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من التجربة الجمالية الإنسانية. لذا، تُدرس الألوان في علوم متعددة مثل الجمال، الفن، الكيمياء، الفيزياء، علم النفس، وعلم اللغة، نظراً لأنها ظاهرة فيزيائية وتجربة نفسية تختلف بين الأفراد.

أولًا – مفهوم اللون:

اللون لغة هو هيئة كالسواد والحمرة، ولوّنته فتلوَّن، وفلان متلوّن إذا كان لايثبت على خلق واحد. وتلوّن البسر تلوينًا إذا بدأ فيه أثر التغيير. والبسر التمر أو البلح. واللون: الرّمّل وهو ضرب من النخل.

وقال الأخفش: اللون جماعة واحدتها لينة ولما انكسر ما قبلها انقلبت الواو ياءً "لونة" ومنه قوله تعالى في الآية الخامسة من سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾. واللينة ضرب من ضروب التمر يعرف بـ"العجوة" [١].

واللون: صفة الجسم من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك. وقيل: هو تكييف ظاهر الأشياء في العين، أو لون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، ولوَّنَ الشيء جعله ذا لون.[٢] واللون: الهيئة الصبغية التي يكون عليها الشيء

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد الإفريقي،١٤١٤هـ، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٣: ٣٩٥.

(٢) موسى، حسين يوسف، الصعيدي، عبد الفتاح، (د.ت)، الإفصاح في فقه اللغة، ط١، دار الفكر العربي، ٢: ١٢١٩.

والجمع ألوان.[١] وأما اصطلاحا هناك عدة تعريفات للون، وسنذكر منها ما يلي:

١ – اللون هو الخبرة النفسية الفردية لإدراك المرئيات تتشبه وتتحفز بواسطة الطيف الشمسي المرئي [٢].

٢ – اللون ما ينشأ من لون المادة نتيجة امتصاصها لبعض الأطوال الموجية الذي يتكون منه الضوء الأبيض.

٣ – واللون هو الإشعاع المنعكس من الأشياء إلى العين، أو هو التأثير الفزيولوجي على شبكية العين، أو هو إحساس ليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية والإنسان منها على وجه الخصوص[٣]. والتعريف الأخير أشمل لأنه يجمع الجانب الفيزيائي (الإشعاع المنعكس)، والبيولوجي (تأثيره على شبكية العين)، والنفسي (الإحساس والإدراك)، ويؤكد أن اللون ليس مادياً مستقلاً، بل تجربة إدراكية تعتمد على تفاعل الضوء والمادة والجهاز العصبي.

ثانيًا – أقسام اللون وتأثيره النفسي:

قسم أهل العلم الألوان إلى قسمين: الأساسية والفرعية (الثانوية):

أ – الألوان الأساسية:

وهي الألوان التي لا يمكن الحصول عليها بمزج ألوان أخرى، وتُعد الأساس لتكوين باقي الألوان. وهي الأصفر والأحمر والأزرق.[٤] اللون يؤثر على النفس والسلوك والمشاعر، والفن يعكس ويكشف أسرار النفس الإنسانية، لذا أصبح الفنانون وأعمالهم موضوع دراسة لعلماء التحليل النفسي.[٥]. وتُعدّ التأثيرات النفسية للألوان ذات أهمية كبيرة لما تمتلكه من قدرة رمزية عميقة في التأثير على النفس البشرية عبر تجارب حضارية وجمالية قديمة. ونتناول أقسام اللون فيما يأتي:

١ – اللون الأصفر:

لون ضوء الشمس يرمز للمزاج المعتدل والسرور، وله تأثير مهدئ يُستخدم أحيانًا في علاج الأمراض العصبية.[٦] وكما أن الأصفر لون المحبة والبهجة والأمل، ومنشط للفكر، ويُستخدم في طلاء الحوائط وعلاج العجز الذهني.[٧]

٢ – اللون الأحمر:

لون النار والدم، يثير الإحساس بالحرارة والنشاط، يزيد الالتهاب والضغط الدموي، ويرمز قديماً للحياة، السرور، الحرب، والعصيان.[٨] والأحمر يجذب الانتباه بشدة، ويحتاج إلى تعامل حذر حتى لا يطغى على الألوان الأخرى. [٩] وهو مرتبط

---

(١) زكي، حسام الدين كريم، ٢٠٠٠م، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، (د.ط)، القاهرة: دار غريب، ص٨٢٧.

(٢) البدري، علي حيدر صالح، ٢٠٠٣م، التقنيات العلمية لفن الخزف: التزجيج والتلوين، ط١، عمّان: دار اليازوري العلمية، ٢: ١٤٠.

(٣) خلوصي، محمد ماجد عباس،٢٠٠٠م، التصميم الداخلي واللون: مقياس الألوان العالمي، ط١، القاهرة: دار النشر للجامعات، ص: ٧.

(٤) عمر، أحمد مختار، ١٩٨٢م، اللغة واللون، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ص: ٣٥ – ٣٦ .

(٥) البسيوني، محمود، ٢٠٠٦م، أسرار الفنّ التشكيلي، ط١، القاهرة: دار عالم الكتب، ص: ١٨١.

(٦) الصقر، أياد، ٢٠٠٧م، فن الجرافيك، ط١، عمّان: مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص: ٧٢ .

(٧) جمعة، حسين محمد، ٢٠٠٦م، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ط١، القاهرة: مكتب الدراسات والاستشارات الهندسية، ص: ٢٧.

(٨) الصقر، فن الجرافيك، ص٧٥؛ وعطية، محسن محمد، ١٩٩٥م، تذوق الفن: الأساليب والتقنيات والمذاهب، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ص: ٨٥.

(٩) محمود، إدريس فرج الله، ٢٠٠٨م، التشكيل اللوني في الطباعة، ط١، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص: ٢٢.

بالقوة والشجاعة والثأر، ويرمز أيضاً للعاطفة، الشهوة، النشاط، والغضب [١].

٣ – اللون الأزرق :

يرمز للطاعة والولاء والتأمل، ويُلهِم السكينة والاطمئنان، وهو لون السماء والبحر، معبرًا عن الفراغ الواسع غير المحدد [٢].

ب – الألوان الفرعية (الثانوية):

الألوان الفرعية تتكوّن بخلط لونين أساسيين، مثل الأحمر والأصفر لإنتاج الأخضر، والأحمر والأزرق لإنتاج البنفسجي. كما تتولد الألوان الثانوية من خلطات مختلفة حسب نقاء اللون، مثل الوردي والرمادي والسماوي وغيرها. ويتيح العلم الحديث بفضل الحاسوب إنتاج عدد غير محدود من الألوان، وأبسط طرق اختيار الألوان هي استخدام درجات متعددة من لون واحد محدد. ومنها:

١ – اللون الأخضر:

اللون الأخضر لون الطبيعة المنعش والرطب، يبعث الراحة والسكينة، ويساعد على الصبر وتهدئة الغضب والأرق، ويُستخدم طبيًا لتحسين الدورة الدموية وضربات القلب، كما يرتبط بالدفاع عن النفس والتجدد والنمو [٣] .

٢ – اللون البنفسجي:

ينتج اللون البنفسجي بمزج اللون الأحمر مع الأزرق فهو يدل على الغموض والتردد في اتخاذ القرار. ويؤثر هذا اللون تأثيرًا حسنًا على القلب والرئتين والأوعية الدموية كما يزيد من مقاومة أنسجة الجسم.

٣ – اللون البرتقالي :

لون محرك يزيد طفيفًا نبضات القلب يعطي إحساس بالراحة ويساعد حركة الهضم فهو لون محبب للنفس ولون اجتماعي.

– اللون ٤ – الأدكن (البُنّي):

لون عشق الحياة بكل ما فيها. يقل فيه النشاط الضاغط في الأحمر ويكون أكثر هدوء منه، ونشاطه متعلق بالحواس [٤].

٥ – اللون الأرمد (الرمادي) :

لون غامض وهادئ، يميل إلى الانقياد ويقف في الخلفيات ليبرز الأبطال، وضروري للانسجام، ويعكس شعور الوحدة[٥].

٦ – اللون الأبيض :

اللون الأبيض يرمز إلى الصفاء، الطهارة، والصدق، يمثل "نعم" مقابل "لا" في الأسود، ويعكس أكبر قدر من الضوء،

---

(١) عمر، اللغة واللون، ص١٨٤؛ وجمعة، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ص: ٢٨.

(٢) عطية، تذوق الفن: الأساليب والتقنيات والمذاهب، ص: ٩٠؛ ومحمود، التشكيل اللوني في الطباعة، ص: ٢٦؛ وعمر، اللغة واللون، ص: ١٨٢.

(٣) جمعة، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ص: ١٤– ١٧؛ والصقر، فن الجرافيك، ص: ٧٢ – ٧٤.

(٤) محمود، التشكيل اللوني في الطباعة، ص: ٣٩ – ٤٣؛ والصقر، فن الجرافيك، ص: ٧٢ – ٧٥؛ وعمر، اللغة واللون، ص: ١٨٦.

(٥) محمود، التشكيل اللوني في الطباعة، ص: ٥١؛ والصقر، فن الجرافيك، ص: ٧٤؛ وجمعة، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ص: ٢٨ .

وهو الخلفية التي تبرز الألوان الأخرى، أما الشبهة فهي بياض مختلط بالسواد [١].

٧ – اللون الأسود :

اللون الأسود يمثل انعدام الضوء ونادر في الطبيعة، ويرمز للحزن، الموت، الخوف، والعدم، ويميل إليه من يفتقدون الثقة[٢].

ثالثًا – علم الجمال:

مصطلح علم الجمال (الاستطيقا) (Aesthetics) ظهر في القرن الثامن عشر على يد العالم الألماني"جوتلب بوم جارتن". وقيل إن هذا العلم قد نشأ قديما جدا وهذا ما تؤكده الرسومات والزخارف الأثرية، مثل الأواني الزخرفية والتماثيل. والجمال لا يقتصر على الأعمال الفنية فحسب، بل الأشياء الصناعية والطبيعية. فيذهب الناس في رحلات لمشاهدة المناظر الطبيعية كمناظر الجبال والأنهار والمناطق الزراعية. وكل هذه المناظر لا تخلو من الألوان[٣].

وعلم الجمال يعبر عن رؤية الإنسان للعالم من خلال دراسة الصور الحسية التي يبرزها الفن، إذ يهتم بفهم المبادئ الصورية المنظمة التي توجه الجهد الفني ونظرة الفنان الفردية للأشياء [٤].

المبحث الثاني: جماليات الألوان في القرآن الكريم :

في القرآن الكريم تُمثّل الألوان مكونًا دلاليًا وجماليًا بالغ الأهمية، يتجاوز الإحالة الحسية المباشرة إلى أداء وظائف رمزية وتكوينية تتصل بمستويات متعدّدة من المعنى. فاللون في السياق القرآني ليس مجرد وصف خارجي، بل هو عنصر دلالي ذو طاقة إيحائية تُسهم في تشكيل المشهد التصويري، وتعميق البعد النفسي، وتفعيل البنية التخييلية للنص. وتكمن جمالية الألوان في القرآن الكريم في ارتباطها العضوي بالبنية البلاغية للخطاب حيث يتداخل الحس البصري مع الدلالة السياقية لتوليد طبقات من المعاني المتراكبة، مما يجعل اللون أداة تأويلية تستدعي آليات التذوق الجمالي. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة جماليات الألوان في النص القرآني ليست مجرد رصدٍ لتكرار لوني، بل هي مقاربة علمية تستكشف الأنساق الرمزية والبلاغية التي تنتظم حول اللون بوصفه مفتاحًا جماليًا.

أولًا – دلالات اللونين الأبيض والأسود:

أ – اللون الأبيض في القرآن الكريم:

اللون الأبيض يرمز إلى الصفاء والنقاء والطهارة، لذا كان لباسًا في كثير من المناسبات الدينية، فنجد حضوره جليًا في شعائر الحج والعمرة، وكذلك في الأعياد. وأيضًا يُتّخذ كفنًا للأموات [٥].

وقد ورد اللون الأبيض في القرآن الكريم اثني عشرة مرة بدلالات مختلفة حسب موقعه. ومنها قول الله تعالى: ﴿وكُلُوا

---

(١) الثعالبي، أبو منصور، ١٩٩٩م، فقه اللغة وأسرار العربية، ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ص: ١١٤.

(٢) محمود، التشكيل اللوني في الطباعة، ص ٤٨؛ وعمر، اللغة واللون، ص١٨٦؛ وجمعة، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ص: ٢٨.

(٣) نصار، محمد يوسف، قاسم محمد كوفجي، ٢٠٠٧م، تذوق الفنون الدرامية، ط١، عمّان: عالم الكتب الحديث، ص: ١٠٩.

(٤) زكريا، إبراهيم، ١٩٩٦م، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ط١، القاهرة: دار مصر للطباعة، ص: ٣٥٤.

(٥) عمر، اللغة واللون، ص: ١٦٤ .

واشْرَبُوا حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ﴾[١]، يتجلّى جمال التعبير وبلاغته في تصوير دقيق لبزوغ الفجر عبر تباين لونيّ حسي، حيث شُبّه أول ضوء من الصباح بـ"الخيط الأبيض" الذي يظهر ممتدًا في الأفق، في مقابل "الخيط الأسود" الذي يمثل ظلمة الليل. في هذه الآية الكريمة دلّ اللون الأبيض على انبثاق الفجر، وهو ما يُعرف بالفجر الصادق، الذي يتميّز بظهور ضوء مستطيل أفقي يملأ الأفق، في مقابل الفجر الكاذب الذي يظهر عموديًا ثم يزول سريعًا. والمقصود هنا هو الفجر الصادق الذي يُبنى عليه الحكم الشرعي ببدء الإمساك عن شهوتي البطن والفرج إلى غروب الشمس. قيل:كان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزلها الله تعالى فعلموا إنما يعني بهما الليل والنهار. وقد اقترن اللون الأبيض في هذا السياق بدلالة دينية دقيقة، إذ لم يُستخدم بوصفه لونًا حسيًا فحسب، بل كعلامة فاصلة تؤذن بانتقال من الإباحة إلى التقييد، ومن الزمن العادي إلى زمن العبادة، مما يمنحه بُعدًا تعبّديًا وجماليًا.[٢]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣]. فقد جاء اللون الأبيض معبراً عن الفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا ، وجاء كذلك عن طريق الكناية دالاً علي البشرى والنعيم الخالد للذين اخلصوا العبادة لله وحده في دار الدنيا. أي تبيضّ فيه وجوه المؤمنين ،وتسود وجوه الكافرين ،فأما الذين ابيضت وجوههم سعداء بثباتهم على الإيمان والتوحيد. تُجسد هذه الآيات المشهد النهائي ليوم الحساب، حيث يرمز "تبييض الوجوه" إلى إشراقة الرضا الإلهي ونعيم الخلود في رحمة الله، بينما يرمز "سواد الوجوه" إلى سواد الخزي والعذاب الأبدي للكافرين والمرتدين بعد الإيمان، في تصوير بديع يربط بين اللون والدلالة الأخروية[٤].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وتَوَلَّى عَنْهُمْ وقَالَ يَا أَسَفي عَلَى يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٥]. اللون الأبيض في هذه الآية تدل على شدة الحزن، حيث يُعبّر البياض هنا عن أثر البكاء الشديد الذي غمر عيني يعقوب، مما يشير إلى حالة كظم الغيظ والحزن العميق المكبوت. هذا الاستخدام للون الأبيض يبرز البعد النفسي والوجداني للحالة، معبراً عن تأثر القلب وانكساره، ودل اللون الأبيض علي حالة فقدان البصر، فيثير الحزن والإشفاق[٦].

وكما ذُكِرَ اللون الأبيض خمس مرات في قصة نبي الله موسى– عليه السلام–. يقول الله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، ١٩٨٩م، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، ط٤، الرياض: دار طيبة، ٢: ٢٢٣؛ والقرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، ١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢: ٢٧٤؛ والطبري، محمد بن جرير، ٢٠٠١م، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة: دار هجر، ٢: ٥١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦ و ١٠٧.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ٢: ٥١٢ – ٥١٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٦) الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ٤: ١٢٣ – ١٢٥.

تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.[١] أي بيضاء من غير برص، أي نورًا ساطعًا يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءا. وقال أبن عباس وغيره فخرجت نورًا مخالفًا للونه، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلوح إلى من نظر إليها من غير برص ولا مرض. والدلالة هنا جمالية أيضًا، فاليد تخرج بيضاء جميلة من غير برص[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ومِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.[٣] الجدد: جمع جدة وهي الطرائف المختلفة الألوان، وقال الجوهري الجدة: الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. والمعنى فيه تقديم وتأخير والأصل فيه: ومن الجبال سود غرابيب، والغريب هو الشديد السواد كما بينا ذلك في المبحث السابق في الحديث عن اللون الأسود. والمعنى أي فيهم: الأبيض، والأحمر، والأسود، مما تخرج الأرض من النبات والثمار ومن الجبال وغيرها من الأشياء الطبيعية. ففي الآية السابقة ذكرت ثلاثة ألوان بألفاظها وهي الأبيض، والأحمر، والأسود وألوان أخرى لم تذكر بألفاظها وعبرّ عنها بمختلف ألوانها وهنا نلحظ جمال الطبيعة في تنوع الألوان فالضّدُ يظهر حسنَه الضِّدُّ، ففي التنوع يظهر جمال الطبيعة في هذه المجاورة، وهذا الاختلاف والتنوع دليل على قدرة الله وحكمته في خلقه[٤].

ومن جماليات اللون الأبيض في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ ولا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ وعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٥] . جاء في بعض التفاسير صفة للكأس وقيل هي الخمر، وقال الحسن: خمر الجنة أشد بياضًا من اللبن. وقال الحسن وابن زيد: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، شُبِّهن ببيض النعام، تُكِنُّها النعامة بالريش من الريح والغبار. وقال ابن عباس: شُبِّهن ببطن البيض قبل أن يُقَشَّر وتمسّه الأيدي. وقال الطبري: هو القشر الرقيق الذي على البيضة بين ذلك، هذا التشبية هو للحور العين، فهنا نرى جمال اللون الأبيض في لون الخمر الأبيض الذي لايذهب بالعقول، وتحمله جارية بيضاء اللون شفافة، أو وصف للحور العين المشبهات بالبيض المكنون، فدلالة اللون الأبيض هنا دلالة جمالية[٦].

ومن مرادفات اللون الأبيض الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ورِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾.[٧] أي زهر الأشجار مايروق من ألوانها، وأزهر اللون منير اللون ويقال لكل شيء مستنير زاهر وقد بينا هذا في المبحث السابق في الحديث عن اللون الأبيض.[٨] فاللون الأبيض في القرآن

(١) سورة القصص، الآية: ٣٢.
(٢) الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ١: ٢٧٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٧.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧: ٢١٨-٢١٩.
(٥) سورة الصافات، الآية: ٤٦ – ٤٩ .
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨: ٥٣ – ٥٥.
(٧) سورة طه، الآية: ١٣١.
(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦: ١٧٣ .

الكريم بجماليات بلاغية تعبّر عن الطهر والضياء والانكشاف، فتتجلّى– كما بينا– في قوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ تصويرًا دقيقًا للحزن العميق، وفي ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ رمزًا للرضا الإلهي والقبول، وفي ﴿الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ دقةٌ تصويرية لفجر الصيام، وكلها توظيفات بديعة توحّد بين الجمال الحسي والدلالة النفسية والروحية، مما يمنح اللون الأبيض بعدًا بلاغيًا راقيًا في سياقات مختلفة.

تمثّل دلالات اللون الأبيض في القرآن الكريم نموذجًا راقيًا للجمال التعبيري المتجاوز للإحساس البصري المحض، إذ تتنوع هذه الدلالات بين الطهارة والرضا الإلهي والانكشاف والنور والحزن والتجلي المعجز، كما في قوله تعالى: ﴿الخيط الأبيض﴾ دلالة على إشراقة الفجر، و﴿تبيَضُّ وجوه﴾ رمزًا للرضا والقبول، و﴿ابيَضّت عيناه﴾ تعبيرًا عن الحزن العميق، و﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ إشراقًا إعجازيًا. وهذه الاستخدامات تتقاطع مع المفهوم الجمالي للّون الأبيض في الفكر الفلسفي؛ إذ يرى أفلاطون أن الأبيض امتداد لنور المثال المطلق، ويرى كانط فيه لونًا مثاليًا خالصًا يثير شعورًا بالجمال الخالي من الغرض، بينما يمثل في الجماليات المعاصرة رمزًا للنقاء والسكينة والسلام. ومن ثم، فإن الجمال القرآني يتفوق من حيث شموليته وتعدّده الرمزي والنفسي والتعبّدي، ويُقدَّم في بنية لغوية بلاغية تتجاوز المفهوم الحسي إلى أفقٍ دلالي وجمالي أوسع.

ب – اللّون الأسود في القرآن الكريم:

يُعدّ اللون الأسود رمزًا لانعدام الضوء وغياب الألوان جميعًا، وقد ارتبط عبر العصور بدلالات ثقافية متباينة. ففي الثقافات الشرقية، ارتبط بالسكون والموت، بينما عبّر في الحضارة الصينية القديمة عن جهة الشمال، إذ كانت السماء الشمالية تمثّل ليلًا دائمًا في تصورهم، فجُسّدت باللون الأسود. أما عند الرومان، فقد اقترن بإله الزراعة، لما في الأرض من خفاء وإنبات. وفي الحضارة الفرعونية، اكتسبت القطط السوداء قداسة خاصة، باعتبارها رموزًا للحماية والهيبة. هكذا اتخذ الأسود مكانة رمزية غنية، تنوّعت بين الرهبة والاحترام، بين الغيب والمقدس، مما يمنحه بعدًا جماليًا وثقافيًا عميقًا[(١)].

وأما دلالات اللون الأسود وجمالياته في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ﴾[(٢)]. في هذه الآية الكريمة يظهر اللون الأسود في صورة بديعة تُجسّد تدرّج الضوء والظلمة عند بزوغ الفجر، حيث شُبّه الظلام بخيط أسود ممتد، في مقابل بياض الفجر المتسلّل كخيط أبيض، مما يضفي على المشهد دقة حسية وجمالية راقية، ويمنح اللون الأسود بُعدًا بصريًا دقيقًا يوظّف في ضبط الزمن الشرعي للإمساك، جامعًا بين التعبير البلاغي والدقة التشريعية[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وجُوهٌ وتَسْوَدُّ وجُوهٌ فَأَمَّا الَذِينَ اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[(٤)] يأتي ذكر اللون الأسود في سياق تصوير بصري بليغ يجسّد الأثر الظاهر للكفر على الوجوه يوم القيامة. فاللون الأسود هنا لا يُقصد به

(١) عطية، تذوق الفن: الأساليب – والتقنيات – والمذاهب، ص: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ٢: ٥١٠ – ٥١١؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢: ١٨٤ – ١٨٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

مجرد السواد الحسي، بل يحمل دلالة بلاغية عميقة على الذلّ، والندم، والخزي، إذ أُلبست الوجوه هيئة تعكس ما في القلوب من كفر وعصيان. ويقابل ذلك التبييض الذي يشير إلى النور والرضا والقبول. فهذا التباين اللوني يوظَّف بلاغيًا ليُظهر المفاصلة بين الإيمان والكفر، والنور والظلمة، والسعادة والشقاء، في صورة مشهديّة بصرية تترك أثرًا قويًا في المتلقي، وتعزّز المعنى بأداة حسية محسوسة(١).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾(٢) في الآية يُوظَّف اللون الأسود بلاغيًا لتصوير أثر الكذب على الله، كإضافة الشريك أو الولد إليه، فيبرز سواد الوجوه كعلامة حسية على الغضب الإلهي والذلّ العظيم. وقد فسّر الزمخشري هذا السواد بأنه حالٌ تدل على ما حاق بهم من غضب الله ونقمته، مشيرًا إلى أن الجملة "وجوههم مسودة" تقع في موضع الحال إذا كانت "ترى" من رؤية البصر، أو كمفعول ثانٍ إذا كانت من رؤية القلب.

وأما البيضاوي، فقد بيّن أن سواد الوجوه يوم القيامة هو نتيجة للكذب على الله، حيث يُظهر السواد ما حاق بهم من غضب الله ونقمته، ويكون ذلك جزاءً لهم على افترائهم. وهكذا، يُستخدم اللون الأسود في هذه الآية كرمز بلاغي يُجسّد الحالة النفسية والروحية للذين كذبوا على الله، ويُبرز الفارق بين أهل الحق وأهل الباطل في مشهد يوم القيامة.(٣)

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٤) أي يوظّف اللون الأسود توظيفًا بلاغيًا رفيعًا للدلالة على الحالة النفسية القاتمة التي تعتري من يُبشَّر بما يكرهه، في سياق استنكار العرب لإنجاب البنات.

فجاء التعبير بـ"مسوّدًا" تصويرًا لحالة الغضب الداخلي والحزن المكظوم الذي ينعكس على ملامح الوجه، وهو تغيّر لوني مجازي يدل على التحول النفسي من الرضا إلى الضيق والانفعال المكبوت، فالسواد هنا علامة للخزي والانقباض النفسي العميق، لا مجرد لون حسي. ويجمع هذا التعبير بين البُعد النفسي والبصري، ليكشف عن عمق السخط والانفعال الداخلي بأسلوب بلاغي مكثّف. وقد فسّر الطبري هذه الدلالة بأنها علامة الغضب والحزن الشديد، كما أشار الزمخشري إلى أن السواد يرمز لتغيّر الوجه نتيجة ما يعتري النفس من همٍّ وغضب، وأكّد البيضاوي أن هذا التعبير تشنيع لحالهم حين يُواجهون بما يكرهون (٥).

وأما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ

(١) الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ٤: ١٣٢؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤: ١٠٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، ١٩٩٨م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٤: ٨٣؛ والبيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، ١٩٩٨م، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٥: ١٠٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٧ .

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٤: ١٢٠؛ والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥: ١٥؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨: ٤٧.

مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[١].

يشير التنوع اللوني إلى دقة الإبداع الإلهي وجمال التنوع في الخلق، فجاء ذكر الألوان (الأبيض، الأحمر، الأسود) لإبراز التباين بين الكائنات، دلالةً على قدرة الله تعالى ووحدانيته، كما يعكس ذلك مشهدًا جماليًا طبيعيًا متنوعًا بين الثمار والجبال، ويرسخ دلالة التأمل في التناسق البديع. ولفظة "غَرَابِيبُ سُودٌ" تشير إلى شدة السواد، في إشارة إلى التدرج والتنوع حتى في اللون الواحد. فهذه الألوان مظاهر من مظاهر القدرة الربانية والدلالات على الصنعة الإلهية في التقدير والتنوع[٢].

ومن المترادفات البلاغية للون الأسود في القرآن الكريم لفظ "الدُّهْمَة"، كما في قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[٣]، أي بستانان شديدا الخضرة حتى اقترب لونهما من السواد، من شدة الري والنضرة. و"الدُّهْمَة" في اللغة هي السواد، وقد جاءت هنا بوصفٍ جمالي لأشجار الجنة، دلالة على كثافة الغصون وامتلائها بالحياة. ويأتي هذا التصوير في سياق متتابع من آيات النعيم، بدءًا من الآية (٤٤) إلى نهاية السورة، بما فيها من أنهارٍ، ونخلٍ، ورمّانٍ، وياقوتٍ، وحورٍ عين، مما يُضفي على الوصف الكلي مشهدًا بصريًا غنيًّا ومتناغمًا، يفيض بجمال أخّاذ لا يُدرك مداه[٤] .

ومنها كلمة «الحُوَى» كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[٥]، حيث تشير كلمة «أَحْوَى» إلى اللون الأخضر الذي يميل إلى السواد، وهو وصف يعكس شدة خضرة النبات وكثافته، وفي هذا تصوير دقيق لتغير النبات من حال الخضرة إلى الهشاشة والجفاف. وهذا التعبير يحمل دلالة طبيعية ودينية تعكس قدرة الله تعالى في تنويع ألوان النبات وتحويله من أخضر حي إلى أخضر مائل إلى السواد. ومن المترادفات أيضاً كلمة «السفعة» في قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[٦]، حيث تعني السفعة سواد مقدمة الوجه، وهو تعبير نفسي يرمز إلى سوء العاقبة وعلامة على فساد العمل[٧] .

يشكّل اللون الأسود في القرآن الكريم عنصرًا بلاغيًا وجماليًا بالغ التأثير، إذ لا يُستخدم بوصفه لونًا حسيًا جامدًا، بل كرمز تعبيري مركّب يتداخل فيه البعد النفسي، والروحي، والاجتماعي، كما في قوله تعالى: ﴿تَسْوَدُّ وجُوهٌ﴾ و﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾، حيث يتجسد السواد علامةً على الخزي والندم الأخروي، في مقابل البياض الذي يرمز للرضا والقبول.

ومن جهة أخرى، يوظَّف الأسود دلاليًا للدلالة على الحزن المكبوت والانفعال النفسي، كما في قوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾، أو يُستخدم كجزء من المشهد الكوني الدال على التنوع الجمالي والإبداع الإلهي، كما في قوله: ﴿غَرَابِيبُ سُودٌ﴾. وهذا التنوّع في دلالات السواد يعكس أفقًا تعبيريًا وجماليًا تتجاوز فيه اللغة القرآنية المعنى الحسي إلى دلالات رمزية ووجدانية وأخروية. وتتقاطع هذه الاستخدامات مع ما حمله اللون الأسود من رمزية في الفكر الجمالي العالمي؛ فقد

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٧.

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ١٩٩٩م، مفاتيح الغيب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٦: ٢٢٧؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨: ١٤٢.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٤.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٠: ٤٢٣ – ٤٢٤.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ٥ .

(٦) سورة العلق، الآية: ١٥.

(٧) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٨: ١٢٣ – ١٢٥.

عُدّ في الفلسفات الشرقية لونًا للسكون والموت والاحترام، وفي الفكر الصيني لونًا للشمال والغيب، بينما ارتبط في الرمزية الرومانية بالخصب والزراعة، وفي الجماليات الغربية الحديثة يوحي بالغموض والرهبة والقوة. أما في الجماليات الرمزية، فالسواد علامة على الخفاء والمقدّس والمسكوت عنه. ومن هنا، يمكن القول إن القرآن قد تجاوز هذه الدلالات من خلال توظيفه للسواد ضمن بنية بلاغية دقيقة، تربط بين المظهر والجوهر، والحس والروح، مما يمنحه طاقة رمزية متعددة المستويات، تُسهم في بناء التصوير الفني للآخرة، والمواقف النفسية، والمشاهد الكونية.

ثانيًا – دلالات اللونين الأحمر والأصفر:

أ – اللون الأحمر في القرآن الكريم:

في معظم الثقافات القديمة، ارتبط اللون الأحمر بالدلالات الرمزية العميقة، حيث كان يرمز للنار، والحرب، والعصيان. فقد صور المصريون القدماء الإله "سيث" بلون أحمر، معبرين عن طبيعته العاصية والقوية، بينما كان اللون الأحمر أيضا لون إله الشمس "رع" لديهم، رمزًا للطاقة والحياة. وعند الإغريق والرومان، ارتبط الأحمر بإله الحرب "باكوس"، حيث كان اللون يعكس القوة والحماسة الحربية. في السياق الديني المسيحي، غالبًا ما يُصوّر القديسون وهم يرتدون العباءة الحمراء، التي ترمز إلى الاستشهاد والتضحية في سبيل الدين، مما يعكس البُعد الرمزي للون الأحمر كعلامة للشجاعة والإيمان الراسخ. وأما في القرآن الكريم لم يرد إلا مرة واحدة في معناه الحقيقى وهو في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[١] اللون الأحمر في الآية يبرز في ثنايا النص تجليّاً فريداً لعظمة الخلق الإلهي، إذ لا يقتصر على دلالة اللون فحسب، بل يتعداه إلى علامة حيوية تفيض بالحياة والنضارة. يعبّر الأحمر هنا عن تجليات الأرض المتجددة التي تشهد على قدرة الله في خلق تنوع لوني متناغم، يزخر بالقوة والدفء، ويتحول إلى رمز طبيعي للتغيير والخصوبة. هذا الوصف الدقيق يجعل اللون الأحمر جزءًا من منظومة بلاغية تُمجد التنوع الطبيعي الذي يعكس حكمة الخالق في التكوين والتجديد [٢] .

وكما ورد اللون الأحمر في القرآن الكريم بأشكال متعددة تعبّر عن دلالات بلاغية عميقة، منها اللون الوردي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٣] حيث يشير التعبير إلى تغير لون السماء إلى لون يشبه الورد الممزوج بالأصباغ، دلالة على مشهد مهيب مفعم بالرهبة والخوف، وهو ما بيّنه الضحاك وابن عباس بأن الوردة كالدهان تعني الأديم الأحمر، فتتجلى الدلالة النفسية هنا في التهويل والتخويف من الموقف العظيم ليوم القيامة. وكما ورد الشفق الأحمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[٤] وهو اللون الأحمر الذي يظهر في الأفق عند غروب الشمس، دلالة طبيعية تؤكد عظمة الخلق الإلهي ودورانه. هذه الصور اللونية تؤكد التنوع البلاغي للألوان في القرآن الكريم، حيث تتداخل

(١) سوةر فاطر، الآية: ٢٧.

(٢) عطية، تذوق الفن: الأساليب – والتقنيات – والمذاهب، ص٨٧؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨: ١١٩ – ١٢١.

(٣) سورة الرحمن، الآية : ٣٧.

(٤) سورة الانشقاق، الآية: ١٦.

الدلالات الطبيعية مع النفسية والروحية لتشكيل رؤية شاملة متكاملة [١].

اللون الأحمر في القرآن الكريم جاء نادرًا، لكنه مشحون بدلالات رمزية وجمالية عميقة. في قوله تعالى ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾، يعكس الأحمر جمال التنوع الكوني، بينما في ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، يظهر كعلامة على مشهد القيامة المهيب. وفي ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾، يدلّ على التحوّلات اليومية العظيمة. هذه المعاني تتقاطع مع رمزية الأحمر في الثقافات القديمة، حيث دلّ على الحياة والقوة والتضحية، مما يجعل توظيفه في القرآن محمّلاً بأبعاد حسية ونفسية وروحية، تُضفي عليه عمقًا بلاغيًا خاصًا.

ب – اللّون الأصفر في القرآن الكريم:

كان اللون الأصفر عبر التاريخ رمزًا ذا مكانة مميزة في ثقافات عدة، ففي الصين والهند مثلًا، حظي بمكانة خاصة وكان اللون المفضل لدى البوذيين، كما اعتُبر مقدسًا في المسيحية الأوروبية حيث زُينت به الكنائس، دلالة على النور والقداسة والسمو الروحي [٢].

وأما في القرآن الكريم، ورد اللون الأصفر خمس مرات، ويبرز من بين دلالاته ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[٣] حيث يوظف اللون الأصفر الفاقع ليعبر عن بهاء البقرة وجمالها، مما يضيف للآية بُعدًا جماليًا محسوسًا يسرُّ العين ويشدّ الانتباه، ويعكس دقة الوصف القرآني في إبراز خصائص الأشياء بطريقة تثير التأمل والذهن. ويرى جمهور المفسرين أن وصف البقرة بأنها صفراء اللون يشير إلى الصفرة المعروفة، وقد ذهب بعضهم إلى تفسيرها بأنها صفراء تعني سوداء، إلا أن القول الأصوب والأرجح هو كونها صفراء لا سوداء، إذ لو أراد القرآن تأكيد السواد لاكتفى به دون الحاجة إلى نعت «الفقوع» الذي هو وصف خاص بالصُّفرة. وقد جرت العادة في اللغة العربية على تأكيد الألوان بإضافة نعت يخصّصها ويشدّدها، مثل قولهم: «أسود حالك»، «حلكوك»، «غربيب»، «أحمر قاني»، «أصفر فاقع»، «أخضر ناضر»، «أبيض ناصع»، «ولهق»، «ويقّ»، و«لهاق»، كلها تعبيرات تعكس دقة اللغة العربية وبلاغتها في التمييز بين درجات الألوان وإبرازها بدقة بديعة، مما يثري الفهم ويعمّق الإدراك البصري للمتلقي [٤] .

يشير اللون الأصفر في القرآن الكريم إلى معانٍ متعددة تتراوح بين الجمال والفقدان، كما في قوله تعالى: ﴿تسر الناظرين﴾، مما يدل على دلالة جمالية ترتبط بجاذبية البصر وإبهار الناظرين. وفي موضع آخر، يؤول اللون الأصفر إلى فقدان الحيوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[٥]، حيث يشير الاصفرار إلى ذبول الزرع وفقدانه للخصوبة، وهو رمز ديني يشير إلى كفرهم بعد أن أصبح العطاء بلا أمل، كما يحمل دلالة اجتماعية تعبر عن

(١) زكي، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ص: ٨٤٦؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢: ٥١٠.

(٢) عمر، اللغة واللون، ص: ٢١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٩.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣: ١٩٨؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١: ٣٠٥.

(٥) سوقر الروم، الآية: ٥١.

رفض المجتمع لهذا التحول السلبي وانحسار الخير. هذه التعددية في الدلالات تعكس عمق اللغة القرآنية وقدرتها على التعبير عن مشاهد متباينة عبر رمز لوني واحد.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١]، حيث يصور الله تعالى تنوع الزروع وألوانها المختلفة بين الحمرة والصفرة والخضرة، مجسدًا بذلك صورة حية للدين والحياة الروحية، فكما تختلف الزروع في ألوانها وأحوالها، كذلك تختلف النفوس في إيمانها واعتقادها؛ فالمؤمن يزداد يقينًا ونضجًا كما يزداد الزرع خضرةً، وأما من في قلبه مرض فيهيج ويصفر كما تهيج الزروع وتذبل، فتتحول إلى صفرة يابسة تدل على الفناء والذبول الروحي، وهذا التشبيه البليغ يعكس حكمة الخالق في بيان مراحل الحياة والروح، ودعوة للتأمل والتفكر في تدبيره الحكيم.

يدل اللون الأصفر في القرآن الكريم على فقدان الحيوية، وتحوله إلى العدم والحطام، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[٢]، حيث وردت كلمة "صفْر" موصوفة بأنها سوداء اللون، إذ ذهب بعض المفسرين إلى أن الصفرة هنا تشير إلى السواد، مستندين إلى تشبيه ألوان الإبل التي تميل إلى الصفرة رغم كونها سوداء، كما أُطلق على الظباء لقب "أدم" نسبة إلى بياض الظلمة التي تكسوها. هذا التداخل اللوني يعكس دقة التعبير القرآني في تصوير حالات التحول الطبيعي والرمزي، ويبرز العلاقة بين اللون والدلالة النفسية والطبيعية في النص القرآني بأسلوب بلاغي متقن[٣].

اللون الأصفر في القرآن الكريم يحمل دلالات مزدوجة تجمع بين الجمال والذبول، إذ يعبر عن البهاء والحيوية في بعض الآيات، ويدل على الفناء والذبول في أخرى، مما يعكس عمق التعبير القرآني وشموليته. أما في الفلسفة الجمالية، فيُنظر إلى اللون الأصفر أساسًا كعنصر بصري يثير المشاعر ويرمز إلى الطاقة والنور، مع تركيز على التأثير النفسي دون التوسع في الدلالات الروحية كما في القرآن. بذلك، يُبرز القرآن وظيفة جمالية ودلالية أوسع للون الأصفر مقارنة بالمقاربات الفلسفية التي تركز على الجانب الحسي.

ثالثًا – دلالات اللونين الأخضر والأزرق:

أ – اللّون الأخضر في القرآن الكريم:

يُمثّل اللون الأخضر في الحضارات القديمة رمزًا عميق الدلالة ومتعدد الأبعاد؛ فعند اليونانيين القدماء كان لون إله الجمال "أفروديت"، بينما اعتبر البابليون الشجر رمزًا للحياة والخصب والنماء، لأن الشجر بطبيعته يحمل اللون الأخضر. أما في العقائد الدينية، فقد ارتبط الأخضر بالإخلاص والخلود والتأمل الروحي، وكان اللون المفضل لدى الكاثوليك، لما يحمله من معانٍ سامية تتصل بالسلام الداخلي والاستمرارية الوجدانية[٤].

ورد اللون الأخضر في القرآن الكريم في مواضع عديدة، يحمل دلالات طبيعية وروحية عميقة. يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

(١) سوقر الزمر، الآية: ٢١.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ٣٣.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧: ٣١؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٣٨٩.

(٤) عطية، تذوق الفن: الأساليب – والتقنيات – والمذاهب، ص: ٩٠؛ وعمر، اللغة واللون، ص: ٢٢٥.

أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾[١]، حيث يشير "الخضَر" إلى الزرع الرطب الأخضر الدال على الحياة والنماء. تحمل هذه الآية دلالة طبيعية واضحة تتمثل في دورة الحياة النباتية وتجدد الطبيعة، كما تحمل دلالة دينية تدعو إلى التأمل في آيات الله وأدلته في الكون، ما يعزز الإيمان ويوقظ الوجدان الروحي [٢].

ومن أمثلة اللون الأخضر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ويَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقا﴾[٣] الآية الكريمة تصوّر الجنة بوصفها جزاءً للمؤمنين العاملين الصالحات، حيث تُذكر الثياب الخضراء من السندس والإستبرق، وهي رموز للجمال والرقي والرفعة. فـ«السندس» يشير إلى الثوب الرقيق النحيف، دلالة على النعومة والرفاهية، بينما «الإستبرق» هو نوع من الديباج الفاخر المطرَّز بالذهب، دلالة على الفخامة والبهاء. هذا الوصف البلاغي لا يقتصر على جمال الشكل فقط، بل يحمل دلالة دينية على النعيم الأبدي والكرامة الإلهية، إذ يُلبس المؤمنون في جنتهم أزْياءٍ تعكس مكانتهم العالية وجمال مكافأتهم، مما يؤكد أن النعيم في الجنة يشمل الرقي المادي والروحي معًا.

اللون الأخضر يحمل دلالات نفسية وجمالية وطبيعية عميقة، إذ يُجسّد في الآيات رمز الخير والجمال والنعيم، بعيدًا عن أي إيحاء بالنذر أو الشر. إنه لون يشع بالأمل والرخاء، ويُعدُّ عاملًا مهدئًا للنفوس، يخفض معدلات الغضب ويُسهم في تهدئة الأرق والتعب، ويعمل على خفض ضغط الدم، مما يجعله مصدرًا للراحة النفسية. فحين يهيمن اللون الأخضر على المحيط البصري للإنسان، يُشعره بالطمأنينة وراحة البال، بلا أي شعور بالضيق. وهذا هو اللون الذي يكسو ثياب أهل الجنة وفضاءها، حيث يكتمل جمال النعيم الذي لا تدركه أعين ولا تسمعه آذان، ويصفه القرآن بأنه مقام حسن ومرتقى عالي لا يخطر على قلب بشر [٤].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٥]، يشير إلى تحول الأرض بعد نزول المطر إلى مساحات خضراء مورقة بما ينبت فيها من النبات، والذي يتجلى لونه الأخضر دلالة على الحياة والنماء. وتأتي الدلالة هنا طبيعية ودينية معًا، إذ تأمل هذا الإحياء في الأرض يعكس قدرة الله اللطيفة الخبيرة على التنويع والخلق. كما يعكس اللون الأخضر في هذه الآية رمزية التفاؤل والسكينة النفسية، مما يضفي على المشهد جمالًا طبيعيًا وروحانيًا متكاملاً.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ﴾[٦]، وقال تعالى أيضًا:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٢٤٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣١.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥: ٢٧١.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٣.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾[١]. تأتي دلالة اللون الأخضر هنا طبيعية ودينية معًا، حيث يرمز اللون الأخضر إلى الخضرة والخصوبة والنماء والازدهار، وهو ما يتجسد في السنابل الخضر التي تمثل سنوات الخير والوفرة. كما تؤكد الآية على إظهار معجزة تأويل الرؤيا على يد نبي الله يوسف، حيث فسّر البقرات السمان بالسنين المخصبة المليئة بالخيرات، وربطها بالسنابل الخضراء، بينما تدل البقرات العجاف على سنوات الجدب والجفاف، المرتبطة بالسنابل اليابسة. وهذا التوازي بين البقرات والسنابل يعكس بوضوح دلالات النماء والذبول، ويدل على قدرة الله في تدبير الأمور وبيان الحقائق عبر الرؤى.

ومما ورد من أمثلة اللون الأخضر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٢] في هذه الآية الكريمة تتجلى قدرة الله تعالى في خلقه؛ إذ يشير النص إلى مظهر من مظاهر التناقض العجيب في الطبيعة، حيث جعل الله من الشجر الأخضر، المغمور بالماء والرطوبة، نارًا تُوقد. والمعروف أن الخضرة رمز للرطوبة والبرودة، والنار رمز للحرارة واليبوسة، فكيف تخرج النار من مادة رطبة؟! وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على عظمة الله وقدرته في إخراج الضد من الضد، فهو القادر على أن يخلق من الماء نارًا. وتأتي جماليات اللون الأخضر في هذا السياق طبيعية من حيث ارتباطه بالشجر والنبات والحياة، ودلالة دينية من حيث تجلي القدرة الإلهية في هذا التكوين المعجز. وقيل إن المراد بـ "الشجر الأخضر" في الآية هو شجر المرخ والعفار، وهما نوعان من الأشجار كانت العرب في الجاهلية تستعمل غصونهما لاستخراج النار. فكانوا يأخذون من كل منهما غصنين أخضرين– رغم أنهما يقطران ماءً – ثم يسحق أحدهما على الآخر، فينقدح منهما شرر النار. وهذه المعلومة العلمية البيئية تضيف إلى دلالة الآية بعدًا عمليًا ملموسًا يعزز المعنى المعجز للخلق والتكوين. وبذلك، تتكامل الدلالات اللغوية والطبيعية والدينية في هذه الآية الكريمة، لتدل على أن اللون الأخضر– وإن كان في ظاهره لون الحياة والرطوبة – فإن الله تعالى قادر على أن يجعل منه نارًا محرقة، دالًا بذلك على كمال القدرة والإتقان في الخلق.[٣] وهذه الطريقة التقليدية التي اتخذتها العرب زنادًا للإيقاد بالنار تُظهر دقة التعبير القرآني في الجمع بين الطبيعة الخضراء والنار الكامنة في عناصرها، في دلالة على قدرة الله تعالى على إخراج الضد من الضد[٤].

وكما في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٥]، تأتي الآية في سياق وصف نعيم الجنة، حيث تُستخدم الألفاظ ذات الإيحاءات الحسية الجمالية للدلالة على الفخامة والراحة. فالـ"رفرف" قيل فيه: هو ضرب من الثياب الخضر الناعمة تُبسط للجلوس أو الاتكاء، أو الفُرش المرتفعة المهيّأة لأهل النعيم، كما قيل إنه شيء يطير بصاحبه كأنه مركب نوراني، وهذه الأقوال تصب في تصوير نعيم خاصّ مترف. أما "خُضْر"، فهي صفة يُضفي في هذا الموضع

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٦ .

(٢) سوةر يس، الآية: ٨٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة "مرخ" و"عفار". والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٠: ٥٥٦.

(٤) الجكني، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار، ١٩٩٩م، قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان، ط٢، مكة المكرمة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ١٦. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥: ٧٥.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٧٦ .

إيحاءً بالسلام والطمأنينة والسرور. فاللون الأخضر في الرفرف يعكس الإيناس النفسي والجمالي في الجنة. وبهذا فإن دلالة اللون هنا نفسية وجمالية، تعزز تصور النعيم المقيم الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين. ومنه–أيضًا– قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾[١]، يبرز اللون الأخضر بوصفه زينة لثياب أهل الجنة المصنوعة من "السندس" (الحرير الرقيق)، وهو تعبير عن الرفاه، والرضا الإلهي، والنعيم المقيم. فالدلالة هنا تتنوع بين جمالية في تصوير بهاء الثياب، وطبيعية لارتباط اللون الأخضر بالحياة والنضارة، ودينية تشير إلى رضا الله وإكرامه لعباده في الجنة[٢].

ومن مترادفات اللّون الأخضر في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٣]، تُفهم "نضرة النعيم" على أنها الحُسن والضياء والتألّق الذي يعكس أثر النعيم على الوجوه، فالمعنى يرمز إلى جمال مظهري، وراحة نفسية، ومكانة اجتماعية رفيعة[٤].

اللون الأخضر في القرآن الكريم يتجاوز كونه مجرد لون طبيعي، ليحمل دلالات متعددة تجمع بين الجمال، الحياة، والسكينة الروحية، كما في وصف النعيم والجنة وأزياهم الخضراء الرفيعة التي ترمز إلى الرقي والطمأنينة والرضا الإلهي. هذه الدلالات تتجسد في الطبيعة من خلال تجدد الأرض والنباتات، ما يعكس قدرة الخالق وعظمة خلقه، ويثير في النفس مشاعر السلام والراحة. أما في الفلسفة الجمالية، يُنظر إلى اللون الأخضر أساسًا كرمز للطبيعة، النمو، والتجدد، مع التركيز على تأثيره النفسي في تهدئة النفس وتحقيق التوازن، دون التعمق في البُعد الروحي أو الرمزي الإيماني كما في القرآن. بذلك، يقدم القرآن رؤية جمالية شاملة تربط بين الجانب الحسي والطبيعي والبعد الروحي، في حين تركز الفلسفة على الجانب النفسي والتجريبي للون الأخضر.

ب – اللّون الأزرق في القرآن الكريم :

اللون الأزرق عند الإغريق كان رمزًا للإله، مما يعكس ارتباط اللون بالسمو والعقلانية والقوى السماوية. وعند الرومان استمر الأزرق في دلالاته الروحية، لكن في التراث اليهودي يعد الأزرق أحد الألوان المقدسة، ويُستخدم في الملابس والرموز الدينية كدلالة على الطهارة والوصاية الإلهية. أما في المسيحية، فالأزرق يحمل أهمية أقل مقارنة بالرموز الأخرى، ويُلاحظ نادرًا استخدامه في الطقوس الكنيسية. هذا يبرز التباين الثقافي في دلالات اللون الأزرق بين الحضارات، مع حفاظه على ارتباطه بالقوى العليا والمعاني الروحية، لكنه يتفاوت في الأهمية والتطبيق العملي ضمن الطقوس الدينية. ورد اللون الأزرق في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[٥]؛ والمراد بـ «زُرْقًا» العمى، إذ بيّن الأزهري أن العيون تزرقُّ من شدة العطش، بينما فسّر الزجاج أن سواد العين يتغير ويأخذ صبغة زرقاء نتيجة العطش الشديد. وقد فُسرت «الزُرقة» في مواضع أخرى بأنها فقدان للبصر مصحوبًا بعمى وصمم وبكم. كما في

(١) سورة الإنسان، الآية : ٢١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩: ١٢٤ و ١٩: ١٣٤.

(٣) سورة المطففين، الآية: ٢٤.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣: ١٠٧؛ والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢: ٤٩٦.

(٥) سورة طه، الآية: ١٠٢ .

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [١] دلالة اللون الأزرق هنا تتسم بوجه طبي علمي، إذ إن فقدان ماء العين أو ما يعرف بالماء الأسود يؤدي إلى العمى، والماء الأسود هو أصل النظر، كما تتسم دلالته بجانب نفسي، إذ تبرز حالة التخويف والرعب الشديد المرتبطة بهذا الموقف العظيم، مما يجعل اللون الأزرق رمزًا لفقدان البصر، وحالة الضعف والهوان، وتجسيدًا لهيبة الموقف الذي يعجز فيه الإنسان عن إدراك ما حوله.[٢] لذلك نرى أن اللون الأزرق في الثقافات القديمة كان رمزًا للسمو الروحي والقوى السماوية، مثل ارتباطه بالإله عند الإغريق، وبالطهارة والوصاية الإلهية في التراث اليهودي، رغم تباين أهميته بين الحضارات، حيث يقل دوره في الطقوس المسيحية. أما في القرآن الكريم، فجاء ذكر الأزرق في سياق دال على فقدان البصر والضعف، حيث "الزُرقة" تعبّر عن تغير لون العين نتيجة العطش الشديد أو فقدان البصر، ما يحمل دلالة نفسية وطبية مرتبطة بالرعب والضعف يوم القيامة. بهذا، يختلف الأزرق في القرآن عن دلالاته الثقافية السابقة، إذ يرمز هنا إلى حالة الإنسان الضعيف والهالك، معزّزًا هيبة المشهد القرآني العظيم، بينما في الثقافات الأخرى يرتبط بالألوهية والقداسة، مما يعكس توظيفًا خاصًا ومختلفًا للون الأزرق بين النص القرآني والرموز الثقافية والفلسفية.

الخاتمة:

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تُنجز الأعمال. وفي ختام البحث ما توصل إليه الباحث من نتائج، ما يلي:

١ – اللون في القرآن الكريم لم يُوظَّف اعتباطًا، بل جاء مقصودًا ومدروسًا في سياقه الفني والدلالي، مما يعكس دقة الأسلوب القرآني وإعجازه البلاغي.

٢ – لكل لون في القرآن دلالة نفسية وروحية وجمالية تعبّر عن حالات إنسانية أو كونية عميقة، مثل الطمأنينة (الأخضر)، النقاء (الأبيض)، العذاب أو الظلمة (الأسود)، الفزع أو العظمة (الأزرق)، السرور أو الحذر (الأصفر)، وغيرها.

٣ – القرآن الكريم يوظف الألوان بوصفها أداة تصويرية فنية، تُسهم في بناء المشهد وإثارة الخيال، وتُقرّب المعنى من المتلقي من خلال لغة حسية غنية بالرمزية.

٤ – الدلالة الجمالية للألوان في القرآن ترتبط بالسياق، فلا يمكن فصل اللون عن الآية والموقف الذي ورد فيه، وهو ما يُظهر تفرّد النظام البلاغي القرآني.

٥ – الألوان تعزز من الأثر النفسي للنص القرآني، فتُخاطب العاطفة والوجدان وتُحدث استجابات شعورية، مما يجعل للخطاب القرآني بُعدًا نفسيًا جماليًا مؤثرًا.

٦ – جمع القرآن الكريم بين المعنى البلاغي والجمالي للألوان، حيث تتداخل الدلالة المعجمية مع التصوير الفني في خدمة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

(٢) عطية، تذوق الفن: الأساليب – والتقنيات – والمذاهب، ص٩٠؛ وعمر، اللغة واللّون، ص٢٢٥؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦: ١٦٢.

الرسالة التربوية والهداية.

التوصيات:

١ – ضرورة تعميق الدراسات البلاغية الجمالية في القرآن الكريم، خاصة في المجالات التي تجمع بين التحليل الأدبي والنفسي والفني، لإبراز ثراء النص القرآني من زوايا متعددة.

٢ – تشجيع الباحثين على دراسة الألوان من منطلق مقارن، كأن تُقارن دلالات الألوان في القرآن الكريم مع دلالتها في الشعر العربي القديم أو النصوص القديمة الأخرى، لفهم الفروق البلاغية والثقافية.

٣ – دعوة المؤسسات التعليمية والبحثية إلى إدراج موضوع "الجمال في القرآن الكريم" ضمن مقررات البلاغة والتفسير الأدبي، لما له من أثر في تعزيز تذوق النصوص الشرعية وتقديرها فنّيا.

فهرس المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد الإفريقي،لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٢. البدري، علي حيدر صالح، التقنيات العلمية لفن الخزف: التزجيج والتلوين، ط١، عمّان: دار اليازوري العلمية، ٢٠٠٣م.

٣. البسيوني، محمود، أسرار الفنّ التشكيلي، ط١، القاهرة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٦م.

٤. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق محمد عبد الله النمر، ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٩٨٩م.

٥. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٩٩٨م.

٦. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وأسرار العربية، ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٩م.

٧. الجكني، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار، قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان، ط٢، مكة المكرمة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩م.

٨. جمعة، حسين محمد، الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ط١، القاهرة: مكتب الدراسات الهندسية، ٢٠٠٦م.

٩. خلوصي، محمد ماجد، التصميم الداخلي واللون: مقياس الألوان العالمي، ط١، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٠م.

١٠. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

١١. زكريا، إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ط١، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٦م.

١٢. زكي، حسام الدين كريم، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، (د.ط)، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م.

١٣. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد

الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م.

١٤. الصقر، أياد، فن الجرافيك، ط١، عمّان: مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

١٥. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١.

١٦. عطية، محسن محمد، تذوق الفن: الأساليب – والتقنيات – والمذاهب، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م.

١٧. عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢م.

١٨. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم ، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

١٩. محمود، إدريس فرج الله، التشكيل اللوني في الطباعة، ط١، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨م.

٢٠. موسى، حسين يوسف، الصعيدي، عبد الفتاح، الإفصاح في فقه اللغة، ط١، دار الفكر العربي، (د.ت).

٢١. النشار، أشرف، مدخل إلى فن التصوير الحديث والمعاصر، ط١، دمياط: مكتبة نانسي، ٢٠٠٦م.

٢٢. نصار، محمد يوسف، قاسم محمد كوفجي، تذوق الفنون الدرامية، ط١، عمّان: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م.